الفصل الثاني

دور الأثر في تفسير ابن أبي زمنين

المبحث الأول: دور الأثر في بيان التفسير.

المبحث الثاني: دور الأثر في بيان الإيمان.

المبحث الثالث: دور الأثر في علم القراءات.

المبحث الرابع: دور الأثر في بيان المعاني اللغوية.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

٢،١ المبحث الأول: دور الأثر في بيان التفسير

إن تفسير الصحابة للقرآن الكريم من أهم ما يعتمد عليه العلماء في تفسير كتاب الله –تعالى– بالمأثور بعد تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالحديث النبوي الشريف، وذلك لأن الصحابة –رضي الله عنهم– عاينوا الوحي عند رسول الله ﷺ ولزموا غرزه ففهموا التنزيل فأضحوا خير جيل، حيث قال فيهم العليم الخبير: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَالْأَنْصارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.[٦٣]

قال ابن كثير في تفسيره: "فَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَنَّهُ قَدْ رَضِيَ عَنِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ: فَيَا وَيْلُ مَنْ أَبْغَضَهُمْ أَوْ سَبَّهم أَوْ أَبْغَضَ أَوْ سبَّ بَعْضَهُمْ، وَلَا سِيَّمَا سيدُ الصَّحَابَةِ بَعْدَ الرَّسُولِ وَخَيْرُهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ، أَعْنِي الصِّدِّيقَ الْأَكْبَرَ وَالْخَلِيفَةَ الْأَعْظَمَ أَبَا بَكْرِ بْنَ أَبِي قُحَافَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَإِنَّ الطَّائِفَةَ الْمَخْذُولَةَ مِنَ الرَّافِضَةِ يُعَادُونَ أَفْضَلَ الصَّحَابَةِ ويُبغضونهم ويَسُبُّونهم، عِياذًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عُقُولَهُمْ مَعْكُوسَةٌ، وَقُلُوبَهُمْ مَنْكُوسَةٌ، فَأَيْنَ هَؤُلَاءِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ، إِذْ يسبُّون مَنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟ وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ يَتَرَضَّوْنَ عَمَّنْ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،– وَيَسُبُّونَ مَنْ سَبَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَيُوَالُونَ مَنْ يُوَالِي اللَّهَ، وَيُعَادُونَ مَنْ يُعَادِي اللَّهَ، وَهُمْ مُتَّبِعُونَ لَا مُبْتَدِعُونَ، وَيَقْتَدُونَ وَلَا يَبْتَدِعونَ وَلِهَذَا هُمْ حِزْبُ اللَّهِ الْمُفْلِحُونَ وَعِبَادُهُ الْمُؤْمِنُونَ".[٦٤]

---

٦٣ – سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

٦٤ – ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير ابن كثير: ٢٠٣/٤، سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

وقد أخبر رسول الله ﷺ عن فضل الصحابة والأخذ باجتهادهم، وبخاصة الخلفاء الراشدين، فعَنْ عِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ –رضي الله عنه،– قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الْفَجْرَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ لَهَا الْأَعْيُنُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا أَوْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَأَوْصِنَا، قَالَ: (أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى بَعْدِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ).[٦٥]

وفضل تفسير الصحابة للقرآن الكريم ونشرهم للعلم لا يضاهيه اجتهاد أحد ممن دونهم،

وقد حصر السيوطي –رحمه الله– في مصنفه "الإتقان في علوم القرآن"،[٦٦] أشهر الصحابة الذين فسروا كتاب الله –تعالى– وهم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله

---

٦٥ – صحيح، أخرجه أحمد في مسنده: ٣٧٣/٢٨، برقم: ١٧١٤٤، وصححه أحمد شاكر في تخريجه للمسند.

٦٦ – حيث قال: "اشْتُهِرَ بِالتَّفْسِيرِ مِنَ الصَّحَابَةِ عَشَرَةٌ: الْخُلَفَاءُ الْأَرْبَعَةُ، وابن مسعود وابن عَبَّاسٍ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَزَيْدُ ابْنُ ثَابِتٍ وَأَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَمَّا الْخُلَفَاءُ فَأَكْثَرُ مَنْ رُوِيَ عَنْهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَالرِّوَايَةُ عَنِ الثَّلَاثَةِ نَزِرَةٌ جَدًّا وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ تَقَدُّمُ وَفَاتِهِمْ كَمَا أَنَّ ذَلِكَ هُوَ السَّبَبُ فِي قِلَّةِ رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلْحَدِيثِ وَلَا أَحْفَظُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي التَّفْسِيرِ إِلَّا آثَارًا قَلِيلَةً جِدًّا لَا تَكَادُ تُجَاوِزُ الْعَشَرَةَ، وَأَمَّا عَلِيٌّ فَرُوِيَ عَنْهُ الْكَثِيرُ وَقَدْ رَوَى مَعْمَرٌ عَنْ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ: شَهِدْتُ عَلِيًّا يَخْطُبُ وَهُوَ يَقُولُ: "سلوني فوالله لا تسألوني عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ وَسَلُونِي عَنْ كِتَابِ اللَّهِ فَوَاللَّهِ مَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ أَبِلَيْلٍ نَزَلَتْ أَمْ بِنَهَارٍ أَمْ فِي سَهْلٍ أَمْ فِي جَبَلٍ"، ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن: ٢٣٣/٤، تحقيق: محمد أبو الفضل، (د.ط)، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر.

بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وأُبَيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير، رضى الله عنهم أجمعين.[٦٧]

ويوجد من الصحابة من تكلم في التفسير غير هؤلاء الذين ذكرهم السيوطي، وقد ذكر من العبادلة الأربعة؛[٦٨] عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير، لكن الصحابيان الجليلان: عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهم– لهما روايات مأثورة في التفسير، لذلك لا يقلُّ فضلهم عن غيرهم من الصحابة في نقلهم للعلوم الشرعية والتي يعد التفسير من أجلِّها.

وممَّن تكلم في التفسير من الصحابة غير هؤلاء ولكنهم من المقلين في التفسير: أنس بن مالك، وأبو هريرة، وجابر بن عبد الله، وعائشة، ويضاف معهم الخلفاء الراشدين لأنهم انشغلوا بالخلافة، وتقدمت وفاتهم، قال الذهبي: "فأبو بكر وعمر وعثمان لم يَرد عنهم في التفسير إلا النزر اليسير، ويرجع السبب في ذلك إلى تقدم وفاتهم، واشتغالهم بمهام الخلافة والفتوحات، أضف إلى ذلك وجودهم في وسط أغلب أهله علماء بكتاب الله، واقفون على أسراره، عارفون بمعانيه وأحكامه، مكتملة فيهم خصائص العروبة، مما جعل الحاجة إلى الرجوع إليهم في التفسير غير كبيرة، أما عليّ بن أبي طالب –رضى الله عنه،– فهو أكثر الخلفاء الراشدين رواية عنه في

---

٦٧ – ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن: ٢٣٣/٤، باب: تفسير الصحابة.

٦٨ – العبادلة هو لقب أطلق على أربعة من الصحابة، وهم : عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص، هكذا ذكرهم أهل الحديث وغيرهم من العلماء. قيل لأحمد بن حنبل: فابن مسعود؟ قال: ليس هو من العبادلة، وقال الحافظ البيهقي: سببه أن ابن مسعود تقدمت وفاتهُ وهؤلاء عاشوا حتى احتيج إلى علمهم، فإذا اتفقوا على شيء قيل: هذا قول العبادلة، أو فعلهم، أو مذهبهم، ولفظ العبادلة يطلق على هؤلاء الأربعة لأنهم من صغار الصحابة جمعوا علمًا واسعًا، وكان مدار العلم والفتيا والرواية عنهم لتأخر وفاتهم، ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: ٦٧٥/٢.

التفسير، والسبب في ذلك راجع إلى تفرغه عن مهام الخلافة مدة طويلة، دامت إلى نهاية خلافة عثمان –رضى الله عنه،– وتأخر وفاته إلى زمن كثرت فيه حاجة الناس إلى مَن يُفسِّر لهم ما خفى عنهم من معانى القرآن، وذلك ناشئ من اتساع رقعة الإسلام، ودخول كثير من الأعاجم في دين الله، مما كاد يذهب بخصائص اللغة العربية".[٦٩] أما المكثرون من الصحابة في رواية التفسير فهم: من الخلفاء الراشدين: علي بن أبي طالب، لأنه اعتزل الخلافة، وتفرغ للعلم، وعبد الله بن عباس، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، ولعل من أهم العوامل التي ساهمت في إكثارهم من مرويات التفسير: مخالطتهم للنبي ﷺ ومعرفة أسباب النزول، وسؤال الناس لهم وحاجتهم إليهم، وسليقتهم العربية السليمة، وإحاطتهم بعلومها، واجتهادهم في التقريرات الشرعية، وعدم تحرجهم من الاجتهاد وتقرير ما وصلوا إليه باجتهادهم، وأكثر الصحابة من روي عنهم: عبد الله بن عباس، ثم عبد الله بن مسعود، ثم علىّ بن أبي طالب، ثم أُبَىّ بن كعب.[٧٠] وهنا أهم ما قيل في دور آثار الصحابة في تفسير القرآن الكريم:

- تفسير الصحابي يغلب على الظن أنه مما استفاده من الرسول ﷺ، فله حكم الرفع في تفسير القرآن الكريم غالباً.[٧١]

---

٦٩ – الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ص: ٤٩، المفسرون من الصحابة، (د.ط)، ١٩٨٥م – ١٤٠٥هـ، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر.

٧٠ – المصدر السابق، ص: ٥٠، المفسرون من الصحابة.

٧١ – ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن: ١/١١٥، النَّوْعُ التَّاسِعُ: مَعْرِفَةُ سَبَبِ النُّزُولِ.

- اتفق أهل العلم على أن ما جاء عن الصحابي في بيان سبب النزول بصيغة صريحة كقوله: "حدث كذا فأنزل الله كذا"، أو "سئل رسول الله عن كذا فأنزل الله كذا"، أنه مرفوع، وأدخلوه في مصنفاتهم المفردة للمرفوعات.[٧٢]

- الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل فأخبر عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا وكذا، فهو حديث مسند، بخلاف تفسيرهم الموقوف عليهم [٧٣]

- يقدم تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة النبوية على تفسير الصحابي الموقوف، اللهم إلا ما أخذ حكم المرفوع من مرويات الصحابة، وهو الذي يكون في الأمور الغيبية التي ليس للرأي فيها مجال.[٧٤]

- لم يختلف الصحابة في تفسير الآيات قطعية الدلالة، وإنما اختلفوا اختلاف تنوع مستساغ وليس اختلاف تضاد، كل حسب اجتهاده ونظره.[٧٥]

٢،٢ المبحث الثاني: دور الأثر في بيان الإيمان

إن أقوال الصحابة –رضي الله عنهم؛– لها أهمية بالغة في بيان العقيدة الصحيحة وتقريرها، وذلك لما تلقوه وعاينوه عند رسول الله ﷺ من الوحي والتنزيل، فالصحابة –رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان من المؤمنين؛– يسلمون تسليماً لا ريب فيه لنصوص الكتاب والسنة النبوية، لأن الحجة في كلام الله –تعالى– أبدية، وفي

---

٧٢ – ينظر المصدر نفسه.

٧٣ – ينظر المصدر نفسه.

٧٤ – ينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مقدمة في أصول التفسير؛ ص: ٤٠، الطبعة الأولى: ١٤٩٠هـ – ١٩٨٠م، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

٧٥ – ينظر: المصدر السابق، ص: ٤٢.

الإيمان به والعمل بمقتضاه؛ تستقر الحياة ويطيب العيش، لذلك فهم من أشد الخلق نصراً للحق والإيمان بما أثبت الله لنفسه، والإقرار بأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، والصحابة من أعظم الخلق في الإيمان بنفي كل ما نفاه الله –تعالى– عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ، وقد كانوا يؤمنون بألفاظ القرآن الكريم والحديث النبوي إثباتاً لتوحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، ونفياً لكل ما يناقض التوحيد من دعاوى الشرك أو شبهاته، لذلك؛ فهم خير القرون، الذين قال فيهم عليه الصلاة والسلام: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَاتُهُمْ أَيْمَانَهُمْ، وَأَيْمَانُهُمْ شَهَادَاتِهِمْ).[٧٦]

ومن أهم القواعد التي سار عليها السلف الصالح في إثبات الإيمان بالله تعالى؛ أنهم لا يأتون بلفظ مبتدع في الإثبات أو النفي للعقيدة الصحيحة، فكل ما سكت الله تعالى عن بيان معناه من ألفاظ العقيدة المتعلقة بذات الله –تعالى؛– يمرونه كما جاء من غير تأويل ولا تحريف ولا تكييف، ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل، ولا يخوضون فيه، لأنه من الأمور الغيبية التي لا يستطيع العقل معرفتها واستيعابها، وهم يدركون أن العقل مناط التكليف، لكنه تحت مراد الشريعة، التي وضعته في مكانته، قال أبو العباس ابن تيمية: "بَلْ الْعَقْلُ شَرْطٌ فِي مَعْرِفَةِ الْعُلُومِ وَكَمَالِ وَصَلَاحِ الْأَعْمَالِ وَبِهِ يَكْمُلُ الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ؛ لَكِنَّهُ لَيْسَ مُسْتَقِلًّا بِذَلِكَ؛ بَلْ هُوَ غَرِيزَةٌ فِي النَّفْسِ وَقُوَّةٌ فِيهَا بِمَنْزِلَةِ قُوَّةِ الْبَصَرِ الَّتِي فِي الْعَيْنِ؛ فَإِنْ اتَّصَلَ بِهِ نُورُ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ كَانَ كَنُورِ الْعَيْنِ إذَا اتَّصَلَ بِهِ نُورُ الشَّمْسِ وَالنَّارِ، وَإِنْ انْفَرَدَ بِنَفْسِهِ لَمْ يُبْصِرْ الْأُمُورَ الَّتِي يَعْجِزُ وَحْدَهُ عَنْ دَرْكِهَا وَإِنْ عُزِلَ بِالْكُلِّيَّةِ: كَانَتْ الْأَقْوَالُ وَالْأَفْعَالُ

---

٧٦ – صحيح، أخرجه أحمد في مسنده: ٧٦/٦، برقم: ٣٥٩٤، وصححه أحمد شاكر في تخريجه للمسند، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

مَعَ عَدَمِهِ: أُمُورًا حَيَوَانِيَّةً قَدْ يَكُونُ فِيهَا مَحَبَّةٌ وَوَجْدٌ وَذَوْقٌ كَمَا قَدْ يَحْصُلُ لِلْبَهِيمَةِ، فَالْأَحْوَالُ الْحَاصِلَةُ مَعَ عَدَمِ الْعَقْلِ نَاقِصَةٌ وَالْأَقْوَالُ الْمُخَالِفَةُ لِلْعَقْلِ بَاطِلَةٌ، وَالرُّسُلُ جَاءَتْ بِمَا يَعْجِزُ الْعَقْلُ عَنْ دَرْكِهِ".[٧٧]

وقد اهتم ابن أبي زمنين بنقل أقوال الرسول –عليه الصلاة والسلام– في تأويل آيات العقيدة، وكذلك آثار الصحابة والتابعين، فكان ينقل المرويات بإجمال سواء كانت مرفوعة أو موقوفة أو موقوفة ولها حكم الرفع أو مقطوعة، ومثال الموقوف الذي له حكم الرفع، قوله: في تفسير قوله تعالى:– ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾،[٧٨] حيث ذكر أثراً عن عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– عن يحيى: عن الخليل بن مرة، أن ابن مسعود –رضي الله عنه– قال: "إن السلام اسم من أسماء الله وضعه في الأرض؛ فأفشوه بينكم، فإن المرء المسلم إذا مر بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كانت له عليهم فضيلة ودرجة؛ فإنه ذكرهم بالسلام، فإن لم يردوا عليه، رَدَّ عليه مَنْ هو خير منهم وأطيب: الملائكة".[٧٩] وهذا الإسناد ضعيف جداً، فيه الخليل بن مرة الضُّبَعي، ضعيف،[٨٠] وفي الإسناد إعضال فالخليل بن مرة من طبقة أتباع التابعين عاصر مالك والثوري، ولم يلتق بابن مسعود وبينهم طبقتين أو أكثر، فابن مسعود –رضي الله عنه– توفي سنة: ٣٨هـ.

---

٧٧ – ينظر: الحراني، أحمد بن الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى: ٣٣٨/٣.

٧٨ – سورة النور، الآية: ٦٢.

٧٩ – الإلبيري، محمد بن أبي زمنين، تفسير القرآن العزيز: ١٣٢/٣، سورة النور، الآية: ٦١.

٨٠ – قال الحافظ ابن حجر: "الخليل بن مرة الضُّبَعي البصري، نزل الرقة، ضعيف من السابعة، مات سنة ستين"، العسقلاني، أحمد بن حجر، تقريب التهذيب، ص: ١٩٦، برقم: ١٧٥٧.

لكن يحيى توبع، فروى الأثر البخاري في الأدب المفرد،[٨١] وابن عبد البر في التمهيد،[٨٢] وابن أبي شيبة في المصنف،[٨٣]

والبيهقي في شعب الإيمان،[٨٤] من طرق عن الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود موقوفاً، وروي مرفوعاً كذلك، قال الدارقطني في العلل: "والموقوف أصح".[٨٥]

من خلال ما سبق يتبين أن ابن أبي زمنين لم يترك أقوال الصحابة في تفسير مباحث القرآن الكريم، بل أولاها بعد تفسير القرآن بالقرآن والقرآن بالسنة؛ عناية فائقة، وفي هذا المقام يقول ابن الوزير: "أقوال الصحابة مقدمة عند أهل الإنصافٍ، فإن أفهامهم كانت سليمةً، وعقائدهم مستقيمةً، ولم تكن بالابتداع مريضةً، ولا سقيمةً، وقد نقل الجميع عنهم أن هذه الآية الكريمة سرَّتهم،[٨٦] وفرِحُوا واستبشروا بها كما تقدم ذلك عن أمير

---

٨١ – البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد: ص:٥٧٩، برقم: ١٠٣٩، الباب: ٤٧٥، باب من لم يرد السلام، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، وقال الألباني: صحيح موقوفاً، وصح مرفوعاً.

٨٢ – ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ٢٩٢/٥، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي , محمد عبد الكبير البكري، عام النشر: ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب.

٨٣ – ابن أبي شيبة، أبوبكر بن عبد الله، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار: ٢٤٨/٥، برقم: ٢٥٧٤٥، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.

٨٤ – البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان: ٢٠٠/١١، برقم: ٨٤٠٣، باب: مقاربة أهل الدين وموادتهم وإفشاء السلام بينهم، تحقيق: عبد العلي حامد، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.

٨٥ – الدارقطني، علي بن عمر، العلل الواردة في الأحاديث النبوية: ٧٦/٥، تحقيق: محفوظ الرحمن السلفي، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، دار طيبة، الرياض، السعودية.

٨٦ – وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْراةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بايَعْتُمْ بِهِ وَذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، سورة التوبة، الآية: ١١١.

المؤمنين علي عليه السلام: وعن ابن عباس تُرجمان القرآن، وحبر الأمة وبحرها، وعن عبد الله بن مسعود، وابن عمر رضي الله عنهم، وحديث ابن عمر يقتضي رواية ذلك عن الصحابة أجمعين، ولا شك أن فهمهم صحيحٌ، بل حجةٌ، ولذلك كانت آثارهم مذكورة في تفسير القرآن بإجماع المسلمين".[٨٧]

٢،٢،١ خلاصة المبحث:

من خلال عرضنا لدور الأثر في بيان العقيدة، يمكن أن نخلص إلى الآتي:

- أهمية أقوال الصحابة في بيان أعظم شيء في دين الإسلام، وهي العقيدة لا يقل أهمية عن أقوال النبي ﷺ فقولهم يأتي بعد السنة النبوية مباشرة.
- اهتم ابن أبي زمنين بمرويات الصحابة في تفسير القرآن الكريم، وذلك نظراً لأهميتها في مباحث التشريع.
- لم يقتصر ابن أبي زمنين على صحابة بعينهم في تفسير الآيات، بل كان ينقل عنهم كل ما وجده صالحا في بابه.
- كل الأسانيد التي رواها ابن أبي زمنين من طريق والده عن يحيى بن سلام.
- تنوعت مرويات ابن أبي زمنين لتفسير الصحابة فرواها موقوفة ومعلقة وما لها أصل مرفوع عن النبي ﷺ.

٨٧ – ابن الوزير، محمد بن إبراهيم، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم: ١٩٢/٩، الطبعة الثالثة: ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت. لبنان.

- صنف ابن أبي زمنين في العقيدة مصنفا خاصا، ووسمه بـ"أصول السنة" ذكر فيه كثيراً من المسائل العقدية، وروى بعضها عن الصحابة، كما ساق بعض مروياته هذه في تفسيره.

٢،٣ المبحث الثالث: دور الأثر في علم القراءات

قبل الخوض في هذا الموضوع؛ لا بد من مدخل موجز نبين فيه مفهوم القراءات وأقسامها، فالصحابة – رضوان الله عليهم؛– سمعوا القرآن من الرسول ﷺ والرسول –عليه الصلاة والسلام– أقرأ الصحابة القرآن على حسب حالهم ولسانهم، لأن كتاب الله تعالى أنزل على سبعة أحرف، والحرف في قوله عليه الصلاة والسلام:– "إِنَّ هَذَا القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ"،[٨٨] يعني: القراءة التنزيلية، فكان الرسول ﷺ قد يُقرئ الصحابة بأحرف متنوعة حسب التنزيل، فيحصل في هذه الحرف المقروء من البيان؛ ما لا يقع في غيره من الحروف، ويبدو أن القراءة التي أخذها ابن مسعود، أو كان ابن مسعود له اهتمام بأن يسمع أو يقرأ القرآن على الحرف الأكثر بياناً، فكان حرفه في قراءة القرآن مما سمعه من الرسول ﷺ أكثر بياناً، وفي هذا يقول الإمام مجاهدٌ –رحمه الله:– "لَوْ كُنْتُ قَرَأْتُ قِرَاءَةَ ابْنِ مَسْعُودٍ لَمْ أَحْتَجْ أَنْ أَسْأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ القُرْآنِ مِمَّا سَأَلْتُ"،[٨٩] وذلك لأن الحرف الذي قرأ عليه ابن مسعود أكثر إيضاحاً من الحرف الذي قرأ عليه ابن عباس، وقد يكون ابن مسعود أكثر جمعا للحروف المبينة لمعاني الكلمات القرآنية في القراءات السبع.

---

٨٨ – **متفق عليه**، البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ١٨٤/٦، برقم: ٤٩٩٢، بَابُ: أُنْزِلَ القُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، كِتَابُ فَضَائِلِ القُرْآنِ.

٨٩ – الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي: ٥٠/٥، برقم: ٢٩٥٢، بَابُ مَا جَاءَ فِي الَّذِي يُفَسِّرُ القُرْآنَ بِرَأْيِهِ، أبواب تفسير القرآن الكريم.

ويجدر بنا التنبيه هنا إلى أنه ليس المقصود بالقراءات السبع: القراءات السبع المشهورة عند القراء، وهم:

١- نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعيم المدنيّ، (ت: ١٦٩هـ)، وروى عنه عددٌ كبيرٌ من الرّواة؛ أشهرهم: قالون، وورْش.

٢- عبد الله بن كثير المكيّ، (ت: ١٢٠هـ)، وأشهر رواته هما: أحمد بن محمد البزيّ، وقُنبل محمد بن عبد الرحمن.

٣- أبو عمرو زبّان بن العلاء البصريّ، (ت: ١٥٤هـ)، ومن أشهر رواته: حفص بن عُمر الدُّوريّ، وصالح بن زياد السوسيّ.

٤- عبد الله بن عامر الشاميّ (ت: ١١٨هـ)، ومن أشهر رواته: هشام بن عمّار، وابن ذكوان عبد الله بن أحمد.

٥- عاصم بن أبي النَّجُود الكوفيّ، (ت: ١٢٧هـ)، ومن أشهر رواته: شُعبة بن عيّاش، وحفص بن سليمان.

٦- حمزة بن حبيب الكوفيّ، (١٥٦هـ)، ومن أشهر رواته: خلف بن هشام البغداديّ، وخلّاد بن خالد الكوفيّ.

٧- علي بن حمزة الكسائيّ الكوفيّ، (ت: ١٨٩هـ)، ومن أشهر رواته: الليث بن خالد، وحفص الدُّوريّ.

ولا شك أن المراد بالحروف السبعة؛ القراءات السبع التنزيلية التي نزل بها القرآن، أما القراءات السبع هذه والقراءات العشر المتواترة؛ فهي قراءات اختيارية؛ ترجع إلى الحرف الواحد من الحروف التي نزل بها القرآن الكريم، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "لَا نِزَاعَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ الْمُعْتَبَرِينَ أَنَّ "الْأَحْرُفَ السَّبْعَةَ" الَّتِي ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَيْهَا لَيْسَتْ هِيَ "قِرَاءَاتِ الْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ الْمَشْهُورَةَ"؛ بَلْ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ قِرَاءَاتِ هَؤُلَاءِ هُوَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرِ بْنُ مُجَاهِدٍ وَكَانَ عَلَى رَأْسِ الْمِائَةِ الثَّالِثَةِ بِبَغْدَادَ فَإِنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَجْمَعَ الْمَشْهُورَ مِنْ قِرَاءَاتِ الْحَرَمَيْنِ وَالْعِرَاقَيْنِ وَالشَّامِ؛ إذْ هَذِهِ الْأَمْصَارُ الْخَمْسَةُ هِيَ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا عِلْمُ النُّبُوَّةِ مِنْ الْقُرْآنِ وَتَفْسِيرِهِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ مِنْ الْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ وَسَائِرِ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ فَلَمَّا أَرَادَ ذَلِكَ جَمَعَ قِرَاءَاتِ سَبْعَةِ مَشَاهِيرَ مِنْ أَئِمَّةِ قُرَّاءِ هَذِهِ الْأَمْصَارِ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ مُوَافِقًا لِعَدَدِ الْحُرُوفِ الَّتِي أُنْزِلَ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ لَا لِاعْتِقَادِهِ أَوْ اعْتِقَادِ غَيْرِهِ مِنْ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْقِرَاءَاتِ السَّبْعَةَ هِيَ الْحُرُوفُ السَّبْعَةُ أَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ السَّبْعَةَ الْمُعَيَّنِينَ هُمْ الَّذِينَ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقْرَأَ بِغَيْرِ قِرَاءَتِهِمْ، وَلِهَذَا قَالَ مَنْ قَالَ مِنْ أَئِمَّةِ الْقُرَّاءِ: لَوْلَا أَنَّ ابْنَ مُجَاهِدٍ سَبَقَنِي إلَى حَمْزَةَ لَجَعَلْت مَكَانَهُ يَعْقُوبَ الْحَضْرَمِيَّ إمَامَ جَامِعِ الْبَصْرَةِ وَإِمَامَ قُرَّاءِ الْبَصْرَةِ فِي زَمَانِهِ فِي رَأْسِ الْمِائَتَيْنِ".[٩٠]

٩٠ – الحراني، أحمد بن الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى: ١٣/٣٩٠.

أما عن مفهوم القراءة، فالقراءات لغةً: جمعُ قراءةٍ، وهي: مصدرٌ للفعل: قرأ، قراءةً، وهي بمعنى الجمعُ، والضمّ،[٩١] وفي اصطلاح العلماء؛ القراءات هي العلم الذي يبحث في كيفيّة نطق كلمات القرآن، وطريقة الأداء، من حيث الاتفاق والاختلاف، مع نسبة كلّ طريقةٍ إلى مَن نقلها.[٩٢]

ومن الأمثلة التي جاء بها ابن أبي زمنين وبينت دور الأثر في تفسيره؛ جمعه بين الرواية المتواترة والشاذة في تفسير الآية، فعندما ذكر قوله تعالى: ﴿فاذكروا اسم الله عليها صواف﴾

؛ قال: تفسير مجاهد؛ يعني: معلقة تماماً، وهي قراءة ابن مسعود: ﴿صوافن﴾، قال ابن أبي زمنين: "مَنْ قَرَأَ ﴿صواف﴾ مُشَدَّدَةً؛ فَالْمَعْنَى: صُفَّتْ قَوَائِمُهَا، وَالنَّصْبُ فِيهَا عَلَى الْحَالِ، وَلَا تُنَوَّنُ؛ لِأَنَّهَا لَا تَنْصَرِفُ وَمَنْ قَرَأَ ﴿صَوَافِنَ﴾ فَالصَافِنُ: الَّذِي يَقُومُ عَلَى ثَلَاثٍ؛ يُقَالُ: صَفَنَ الْفَرَسُ؛ إِذَا رَفَعَ إِحْدَى رِجْلَيْهِ؛ فَقَامَ عَلَى طَرَفِ الْحَافِرِ، وَالْبَعِيرُ إِذَا أَرَادُوا نَحْرَهُ تُعْقَلُ إِحْدَى يَدَيْهِ فَهُوَ الْصَافِنُ وَالْجَمِيعُ: صَوَافِنُ. وَقُرِئَتْ ﴿صَوَافِيَ﴾ بِالْيَاءِ وَالْفَتْحِ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ، وَتَفْسِيرُهُ: خَوَالِصَ؛ أَيْ: خَالِصَةً لِلَّهِ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ فِي التَّسْمِيَةِ عَلَى نَحْرِهَا أَحَدٌ. وَقَدْ ذَكَرَ يَحْيَى هَذِهِ الْقِرَاءَاتِ وَلَمْ يُلَخِّصْهَا هَذَا التَّلْخِيصَ".[٩٣]

---

٩١ – ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ١٢٩/١، مادة: قرأ.

٩٢ – الداني، أبو عمرو، التيسير في القراءات السبع، ص: ١٧ – ١٩، بتصرف، تحقيق: حمود خلف، الطبعة الأولى: ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م، دار الأندلس، حائل، السعودية.

٩٣ – الإلبيري، محمد بن أبي زمنين، تفسير القرآن العزيز: ١٨١/٣، سورة الحج، الآية: ٣٦.

وكان يفرد للروايات الشاذة ذكراً –أحياناً،– كقوله: ﴿وَالسَّارِق والسارقة فَاقْطَعُوا أَيْدِيهِمَا﴾، هِيَ فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ –رضي الله عنه:– "فَاقْطَعُوا أَيْمَانَهُمَا"،﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾ بِمَا عَمِلَا ﴿نَكَالا مِنَ اللَّهِ﴾ يَعْنِي: عُقُوبَةً.[٩٤]

ويذكر في بعض الأحيان قراءة أبي بن كعب –رضي الله عنه،– ومثال ذلك قوله: "﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ فَبُيِّنَتْ لَهُمْ ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِين﴾ يَعْنِي: أَهْلَ الْكِتَابِ: حَدَّثَنَا يحيى: وَبَلَغَنِي أَنَّهَا فِي قِرَاءَةِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ فَبَيَّنْتُهُ لَهُمْ، فَأَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِين".[٩٥]

وقال في موضع آخر: "وَهَذَا شبيهٌ بِمَا يُرْوَى عَنْ قِرَاءَةِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ –رضي الله عنه:– "النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَهُوَ أبٌ لَهُمْ"".[٩٦]

وكان ابن أبي زمنين لا يذكر أصحاب القراءات تعييناً، وإنما يكتفي ببنائها للمجهول، فيقول: قرئت كذا، ومن قرأ كذا، دون أن يعزوها لأصحابها، ويشير إلى القراءات الشاذة دون ذكر أنها شاذة.

ومثال ذلك قوله: وَقَرَأَ بَعْض الْقُرَّاء: ﴿مَالِكَ﴾؛ بِفَتْحِ الْكَاف، يَجعله نِدَاء: يَا مَالِكَ يَوْم الدِّين.[٩٧]

---

٩٤ – الإلبيري، محمد بن أبي زمنين، تفسير القرآن العزيز: ٢٧/٢، سورة المائدة، الآية: ٣٨.

٩٥ – المصدر السابق: ٤٩/٢، سورة المائدة، الآية: ١٠٢.

٩٦ – المصدر السابق: ٣٠١/٢، سورة هود، الآية: ٧٨.

٩٧ – المصدر السابق: ١١٩/١، سورة الفاتحة، الآية: ٤.

وكان يرجح قراءة نافع على باقي القراءات نظراً لانتشارها في بلاد المغرب والأندلس.

١،٣،٢ خلاصة المبحث:

من خلال ما سبق؛ ومن خلال مطالعة تفسير ابن أبي زمنين يظهر الآتي:

– أكثر ابن أبي زمنين من الاستشهاد بالقراءات المتواترة والشاذة ولم يعزها إلى أصحابها خلا رواية عبد الله ابن مسعود –رضي الله عنه؛– الشاذة، فإنه ينسبها إليه أحياناً، وفي العموم كان غالبا ما يقول: "مقرأ العامة".

– كان يرجح بعض القراءات بذوقه اللغوي، واعتماده في ذلك على أقوال أهل اللغة.

– رجح بعض القراءات على الأخرى ولم يذكر أصحاب القول من الصحابة أو القراء.

– يذكر كثيرا من القراءات في تفسيره، ولم يحصر استدلاله بالقراءات العشر فقط، بل تعداها إلى القراءات التفسيرية الواردة عن الصحابة والتابعين.

– يفسر كتاب الله –تعالى– بأوجه القراءات القرآنية المتنوعة.

– يعطي القراءة حقها من الإيضاح والتوجيه من حيث المعنى والأحكام الفقهية، ناقلاً ما يراه مناسباً من القراءات والمعاني في بابه عن الصحابة والتابعين.

– سرده لبعض القراءات دون عزوٍ أو تفسير ومدى صحتها.

– يحتج بالقراءات المتواترة والشاذة على حد سواء دون بيان أو تفريق، فكان يخلط بينها غالباً، مع عدم تنبيهه أن القراءات الشاذة لا يجوز قراءتها تعبداً كالقراءات المتواترة.

٢،٤ المبحث الرابع: دور الأثر في بيان المعاني اللغوية

اعتمد ابن أبي زمنين في تفسيره على نقل أقوال الصحابة في إيضاح المعاني، وبيان أوجه القراءات، ولا شك أن هذا العمل يدخله بيان المعاني اللغوية، وسَوْق الأوجه التي تحملها المعاني اللغوية في تأويل الآيات، فالتفسير اللغوي عند الصحابة –رضي الله عنهم– حجة لا شك فيه، فهم أهل اللسان، وهم أهل الاعتبار، وأصحاب الحجة اللغوية، إذ كانوا أقرب إلى رسول الله ﷺ مخالطةً وتلقياً وسماعاً وإيماناً، قال الزركشي: "...يَنْظُرُ فِي تَفْسِيرِ الصَّحَابِيِّ فَإِنْ فَسَّرَهُ مِنْ حَيْثُ اللُّغَةِ فَهُمْ أَهْلُ اللِّسَانِ فَلَا شَكَّ فِي اعْتِمَادِهِمْ وَإِنْ فَسَّرَهُ بِمَا شَاهَدَهُ مِنَ الْأَسْبَابِ وَالْقَرَائِنِ فَلَا شَكَّ فِيهِ وَحِينَئِذٍ إِنْ تَعَارَضَتْ أَقْوَالُ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ فَإِنْ أَمْكَنَ الْجَمْعُ فَذَاكَ وَإِنْ تَعَذَّرَ قُدِّمَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَشَّرَهُ بِذَلِكَ حَيْثُ قَالَ: "اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ".[٩٨]

كيف لا وقد أمر علي بن أبي طالب أبا الأسود الدؤلي بوضع علم النحو لتقويم وتقييم اللسان العربي عندما حصل الاختلاط بين العرب وغيرهم إبان الفتوحات الإسلامية، فطرأ اللحن على الألسن، وأصبحت اللغة العربية على مِحَكٍّ خطير، فالداخلون في الإسلام من العجم ومصاهرتهم للعرب؛ أحدثوا شرخاً عظيما في سليقة الفصحى، ما دعا كبار الصحابة —رضوان الله عليهم– كعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب —رضي الله عنهما– أن يهتموا بهذا الأمر أيما اهتمام، ومن ذلك ما روي أنه قدم أَعْرَابِي فِي زمَان عمر فَقَالَ من يُقْرِئُنِي مِمَّا أنْزِلْ الله على مُحَمَّد ﷺ فَأَقْرَأهُ رجل سُورَة بَرَاءَة فَقَالَ: ﴿أَن الله بَرِيء من الْمُشْرِكين وَرَسُوله﴾

---

٩٨ – الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن: ١٧٢/٢، النوع الحادي والأربعون: معرفة تفسيره وتأويله، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى: ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر.

بِالْجَرِّ فَقَالَ الْأَعرَابِي أَو قد برىء الله من رَسُوله إِن يكن الله قد برىء من رَسُوله فَأَنا أَبْرَأ مِنْهُ فَبلغ عمر مقَالَة الْأَعرَابِي فَدَعَاهُ فَقَالَ يَا أَعْرَابِي أَتَبرأ من رَسُول الله ﷺ قَالَ يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ إِنِّي قدمت الْمُشْركين وَلَا علم لي بها، فَسَأَلت من يُقْرِئُنِي فأقرأني هَذَا سُورَة بَرَاءَة فَقَالَ ﴿أَن الله برِيء من الْمُشْركين وَرَسُوله﴾

، فَقلت: أَو قد برىء الله من رَسُوله إِن يكن الله قد برىء من رَسُوله فَأَنا أَبْرَأ مِنْهُ فَقَالَ عمر لَيْسَ هَكَذَا يَا أَعْرَابِي قَالَ فَكيف هِيَ يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ فَقَالَ ﴿أَن الله برِيء من الْمُشْركين وَرَسُوله﴾ فَقَالَ الْأَعرَابِي وَأَنا وَالله أَبْرَأ مِمَّا برىء الله وَرَسُوله مِنْهُ فَأمر عمر بن الْخطاب أَلا يقرىء الْقُرْآن إلا عَالم باللغة، وَأمر أَبَا الْأسود فَوضع النَّحْو".[٩٩]

قال ابن عساكر في تاريخ دمشق: "وقد اختلف الناس في السبب الذي دعا أبا الأسود إلى ما رسمه من النحو فقال أبو عبيدة معمر بن المثنى أخذ أبو الأسود عن علي بن أبي طالب العربية فكان لا يخرج شيئا مما أخذه عن علي بن أبي طالب إلى أحد حتى بعث إليه زياد اعمل شيئا يكون فيه إماما ينتفع الناس به ويعرف به كتاب الله فاستعفاه من ذلك حتى سمع أبو الأسود قارئا يقرأ: ﴿إن الله بريئ من المشركين ورسوله﴾، فقال ما ظننت أن أمر الناس صار إلى هذا، فرجع إلى زياد فقال أنا أفعل ما أمر به الأمير، فليبغني كاتبا لقنا يفعل ما أقول، فأتي بكتاب من عبد القيس، فلم يرضه، فأتى بآخر قال أبو العباس أحسبه منهم، فقال له أبو الأسود: إذا رأيتني قد فتح فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، فإن ضممت فمي، فانقط نقطة بين

---

٩٩ – ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ دمشق: ١٩١/٢٥، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، دار الفكر، بيروت، لبنان، وأورده السيوطي، جلال الدين، سبب وضع علم العربية، ص: ٣٠، تحقيق: مروان العطية، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م، دار الهجرة، بيروت، لبنان، دمشق، سوريا.

يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن اتبعت شيئا من ذلك عنه، فاجعل مكان النقطة نقطتين، فهذا نقط أبي الأسود".[١٠٠]

وقد كثرت مرويات اهتمام الصحابة في إقامة الألسن وتصويب اللحن في اللغة العربية، فروى الأصفهاني بسنده؛ أن أبا الأسود الدؤلي دخل إلى ابنته بالبصرة فقالت له: يا أبت ما أشدُّ الحر؟ -رفعت أشد- فظنها تسأله وتستفهم منه! أي زمان الحر أشد؟ فقال لها: شهر ناجر[١٠١] يريد شهر صفر الجاهلية، كانت تسمي شهور السنة بهذه الأسماء، فقالت: يا أبت إنما أخبرتك ولم أسألك! فأتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- فقال يا أمير المؤمنين ذهبت لغة العرب لما خالطت العجم وأوشك إن تطاول عليها زمان أن تضمحل فقال له وما ذلك فأخبره خبر ابنته فأمره فاشترى صحفا بدرهم وأملى عليه الكلام كله لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى وهذا القول أول كتاب سيبويه ثم رسم أصول النحو كلها فنقلها النحويون وفرعوها قال أبو الفرج الأصبهاني هذا حفظته عن أبي جعفر وأنا حديث السن فكتبته من حفظي واللفظ يزيد وينقص وهذا معناه: كان أول من نقط المصاحف".[١٠٢]

ولا شك أن أحاديث رسول الله ﷺ ثم أقوال الصحابة -رضي الله عنهم؛- تعد من الأصول التي يعتمد عليها للشواهد النحوية، ولعل من أعظم الأسباب في ذلك:

---

١٠٠ - ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ دمشق: ١٨٩/٢٥.

١٠١ - شهر ناجر: كل شهر في صَمِيمِ الحَرِّ، فَاسْمُهُ ناجِرٌ؛ لأَن الإِبل تَنْجَرُ فِيهِ أَي يَشتَدُّ عَطَشُهَا حَتَّى تَيْبَسَ جُلُودُها، وصَفَرٌ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يُقَالُ لَهُ ناجِرٌ، ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ١٩٤/٥، مادة: نجر.

١٠٢ - الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني: ٣٤٧/١٢، تحقيق : سمير جابر، الطبعة الثانية: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، دار الفكر، بيروت، لبنان.

- إن الصحابة –رضي الله عنهم– كانوا أفصح الناطقين بالعربية في زمانهم، وجل أقوالهم مظانهما في أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله وتقريراته وصفاته الخَلقية والخُلقية، فهم ينتمون إلى قبائل عربية قُحة، اشتهرت بسمو بيانها، وعلو فصاحتها، وتعد قريش في ذروة سنامها، قال إسماعيل بن أبي عبيد الله: "أَجْمَع علماؤنا بكلام العرب والرُّواة لأشعارهم والعلماءُ بلُغاتهم وأيامهم ومحالِّهم أن قُرَيْشاً أفصحُ العربِ أَلْسِنَةً وأَصْفَاهُمْ لَغةً وذلك أن الله –تعالى– اختارَهم من جميع العرب، واختارَ منهم محمداً ﷺ فجعلَ قريشا قُطَّانَ حَرَمه، ووُلاَةَ بَيْته، فكانت وفودُ العرب من حجَّاجها وغيرهم يَفِدُونَ إلى مكة للحج، ويتحاكمون إلى قريش، وكانت قريشٌ مع فصاحتها وحسْن لُغاتها ورِقَّة أَلْسِنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخَيَّرُوا من كلامهم وأشعارهم أحسنَ لُغَاتهم، وأصْفَى كلامهم، فاجتمعَ ما تخَيَّروْا من تلك اللغات إلى سلائقِهم التي طُبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصحَ العرب".[١٠٣]

- كان العرب يحضرون المواسم كل عام، من تجارة وحج، وفي هذه المواسم تستمع إلى قريش من نظم للأشعار، فما استحسنوه من لغات قريش تكلموا به، فصاروا أفصح العرب، وتطهرت ألسنهم من قبيح القول وسفسافه.

وإذا نظرنا إلى الاجتهادات اللغوية والمباحث النحوية عند الصحابة –رضي الله عنهم؛– من خلال أقوالهم في المصنفات الحديثية؛ فسنجدها ضئيلة جداً، وذلك لأنهم على سليقة واحدة سوية، لا يشوبها اللحن في اللغة، ولا الكسر في الإعراب، وإنما كان جل تنوع اختلافهم في المباحث اللغوية في أمرين:

---

١٠٣ – السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ١٦٦/١، تحقيق: فؤاد علي منصور، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الأول: في تنوع المسائل النحوية التي يمكن تتبعها استقراءً من خلال النصوص وليس تقعيدا خالصاً، فقولهم تقام به الحجة لغويا، –وقد مر معنا– أن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب –رضي الله عنهما– أمرا بتقعيد الضوابط النحوية.

الثاني: تنوع أفهامهم للمعاني اللغوية للقرآن الكريم، ويختلفون في أفهامهم اختلاف تنوع وليس تضاد، ومثال ذلك من تفسير ابن أبي زمنين قوله: "﴿أَو لامستم النِّسَاء﴾ الْمُلَامسَة فِي قَول عَليّ وَابْن عَبَّاس وَالْحسن: الْجِمَاع، وَكَانَ ابْن مَسْعُود يَقُولُ: هُوَ الْمس بِالْيَدِ، وَيرى مِنْهُ الْوضُوء".[١٠٤]

٢،٤،١ خلاصة المبحث

لم ينقل عن الصحابة –رضوان الله عليهم– مباحث نحوية واجتهادات لغوية محضة، فضلاً عن مصنفات ألفوها في هذا الباب، إنما ورد عنهم تصحيح اللحن إذا وجدوه مستشرٍ في بيئتهم، وكانوا هم من أمروا بوضع علم النحو للحفاظ على اللغة العربية كما جاءت على السليقة الفطرية، وبالرغم من هذا العمل العظيم، فقد اختلفت بعض آرائهم في فهم بعض الكلمات من كتاب الله تعالى، ولا ضير عليهم في ذلك، فإن اللغة العربية حمالة أوجه، والخلاف بين أهل الحجة فيها إنما هو اختلاف تنوع وليس خلاف تضاد، والله –تعالى– أعلى وأعلم.

---

١٠٤ – الإلبيري، محمد بن أبي زمنين، تفسير القرآن العزيز: ٣٧٥/١، سورة النساء، الآية: ٤٣.